

DOI: 10.54240/2318-015-001-012

إسهامات نساء الحكام وتأثيرهم على الحياة السياسية في الجزائر

خلال القرنين 18 و 19 م.

Contributions of Rulers' Women and Their Impact on

Political Life in Algeria during the 18th and 19th Centuries

أسم ولقب المؤلف المرسل: عزيزة معط الله- Aziza Matallah صص 270-286

الدرجة والعنوان المهني: شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ الجزائر في العصر الحديث- جامعة

الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله- الجزائر.

البريد الإلكتروني: aziza.matallah@univ-alger2.dz

تاريخ الاستقبال: 2025/12/29.. تاريخ المراجعة: 2025/01/10.. تاريخ القبول: 2025/5/11.

الملخص: كانت المرأة وعلى مر الأزمنة التاريخية رفيقة الرجل في جوانب الحياة كلها، حيث لم تقتصر واجباتها على المهام الداخلية في منزلها بل تعدت ذلك إلى ميادين أخرى كالتجارة والسياسة وحتى الميدان العسكري. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المرأة في الحياة السياسية في الجزائر أثناء العهد العثماني؛ إذ قادت بعض النسوة ذوات الشخصيات القوية ثورات كان لها صدى على الساحة السياسية والعسكرية آنذاك، كما كان لها تأثير على صناعات القرار سواء في الباليكات أو في التجمعات القبلية أين كان يصعب على المرأة تقلد الحكم، أو حتى إبداء الرأي.

وقد تم الاعتماد على المنهج التاريخي الذي يعتمد على مجموعة من الأدوات منها التحليل، حيث حاولنا القيام بتحليل المعطيات التاريخية في مختلف المصادر المعتمد عليها للوصول إلى جملة من الاستنتاجات والوصف؛ وذلك بوصف بعض النسوة، وأهم ما قامت به من معارك.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الثورة، السياسة، الجزائر.

ABSTRACT: Women have historically been partners to men in all aspects of life. Their responsibilities extended beyond household duties to encompass roles in commerce, politics, and even the military. This study seeks to illuminate the role of women in political life in Ottoman Algeria. It focuses on how certain women with powerful personalities led revolts that

resonated in both political and military spheres. These women also exerted significant influence on decision-makers within the Bayliks and tribal assemblies, where women's roles in governance and opinion-sharing were traditionally limited.

The research is based on a historical method, employing tools such as the analysis of historical data from various sources and the descriptive examination of key female figures and their pivotal battles.

Keywords: Women, revolt, politics, Algeria.

المقدمة: ما تزال الجوانب الاجتماعية من تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة محل اهتمام الباحثين والدارسين خاصة ما تعلق بالمرأة التي كانت ركيزة هامة في المجتمع: حيث قامت بأدوار فعالة في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية وكذا السياسية التي غفل عن ذكرها الكثير من الباحثين وقد يعود ذلك إلى قلة المصادر التي أرخت للحياة الاجتماعية في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

بالرغم من قلة إشارة النصوص التاريخية إلى مشاركة المرأة الجزائرية خلال العهد العثماني في الجانب السياسي بشكل مباشر كتوليها السلطة أو انضمامها إلى أعضاء الديوان، وقد يعود سبب ذلك إلى طبيعة المجتمع الجزائري كونه محافظا على عادات وتقاليد توارثها منذ القديم؛ فمهام المرأة كانت تنحصر غالبا في رعاية شؤون بيتها وزوجها، وقد تعدى إلى ممارستها التجارة، إلا أنها أقحمت نفسها في شؤون الدولة وأثرت على الوضع السياسي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، خاصة المتعلقة بالعلاقات والتي كانت تخص الحكام أو القبائل المحلية.

إن المصادر التاريخية ومنها الأوروبية على وجه الخصوص قد اهتمت بجوانب حياة المرأة كلها عكس الكتابات المحلية التي غفلت عن ذكر الكثير مما يتعلق بهذا العنصر الهام في المجتمع، ومن خلال إطلاعنا على البعض منها رصدنا الدور الهام الذي قامت به المرأة في تاريخ الجزائر العثمانية خاصة من كانت لها حظوة في المجتمع كنساء وبنات الأسر الحاكمة اللواتي أثرن في الحياة العامة وكانت لهن أدوار هامة في جميع المجالات.

فمن خلال تلك النصوص سواء الأجنبية أو المحلية أردنا الوقوف على دور نسوة حكام الجزائر في الحياة العامة محاولة منا لرصد إسهاماتهن خاصة في المجال السياسي؛ فوقفنا على بعض النقاط المتعلقة بعلاقات الحكام ببعضهم البعض أبرزها علاقة المصاهرات التي ربطت هؤلاء والمتعلقة على وجه الخصوص بولاة الأمور وزعماء القبائل ذات النفوذ الكبير، مع ذكر أبرز نساء الحكام اللواتي وردت أسماؤهن في مختلف النصوص التاريخية وأشهر ثوراتهن، وإبراز دورهن المؤثر في العلاقات خاصة المتعلقة ببايات الجزائر وبعض الفئات الفاعلة في المجتمع.

1- مصاهرات الحكام وشيوخ القبائل: اتبعت السلطة العثمانية سياسة المصاهرة مع شيوخ القبائل والعائلات النافذة في البايكات الثلاثة والتي تعد من أهم الآليات التي اتبعتها الحكام العثمانيون بغية كسب موالة هؤلاء والحد من تمردهم، إضافة إلى محاولة بعث الاستقرار والسلم في البايك، وسياسة المصاهرة تبنتها السلطة العثمانية منذ توليها الحكم بالجزائر، وأول من اتبع هذه السياسة الحسن بن خير الدين الذي قام بمصاهرة قبيلة كوكو المعادية للسلطة العثمانية¹.

إن مصاهرات البايات للعديد من الأسر الكبيرة ولدت علاقات تمازجت بين السلم والحرب، ففي فترات معينة ساد التعاون والهدوء وأخرى شهدت توترا أدى في بعض الأحيان إلى المواجهة العسكرية بين الجهتين، ولردع ثوراتهم من جهة وكسبهم كحليف للسلطة العثمانية من جهة أخرى خاصة في بايلك الشرق الذي اشتهرت قبائله بالقوة العسكرية والتمرد وعدم الخنوع للسلطة العثمانية التي كان همها الأكبر رضوخ تلك القبائل ودفع ما عليها من ضرائب عمد باياتها إلى مصاهرة العديد منها، فالباي أحمد القلي صاهر عائلة بن قانة إحدى قبائل بلاد الزيبان؛ إذ تزوج من ابنة الشيخ سليمان بن قانة زعيم الأسرة وذلك قبل توليته منصب الباي،

1- صالح ابن العنتر: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها- تج: يحي بوعزيز- طبعة خاصة- الجزائر- عالم المعرفة- 2009- ص 29.

ثم قام بتزويج ابنه محمد الشريف من رقية إحدى بنات شيخ العرب الجديد الحاج قانة والدة الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة¹.

تعد أسرة بن قانة من الأسر التي كانت لها حظوة ومكانة لدى حكام البايك هذا ما مكنها من تزعم مشيخة العرب ولفترات طويلة من الزمن، ففي عهد صالح باي (1771- 1792م) استطاعت القبيلة أن تتولى المشيخة بدعم من هذا الأخير² على حساب أسرة بوعكاز الذواودة³ التي كانت تنازعها على زعامة الصحراء لمدة طويلة، كما قام أحمد باي آخر بايات قسنطينة بإسناد المشيخة إلى خاله بوعزيز بن قانة سنة 1830م، هذا ما أثار حقد عائلة بوعكاز التي يتزعمها فرحات بن سعيد⁴ واعتبرت ما قام به الباي إهانة لها وانتزاعا لحقها الشرعي في ممارسة وظيفة المشيخة⁵.

إن دعم أحمد باي لقبيلة بن قانة لم يكن تعاطفا مع أخواله فحسب بل بحكم مصاهرته لها؛ إذ استطاع أن يتزوج من "المنتصرة" إحدى بنات الشيخ محمد بن الحاج شيخ نجع العرب سنة 1832م⁶، هذا ما زاد من توطيد علاقته بالقبيلة بغية كسبها حليفا وسندا له في حروبه سواء مع باقي القبائل الأخرى أو في مواجهة الزحف الاستعماري للمنطقة.

من أشهر المصاهرات التي تمت بين البايات وزعماء القبائل مصاهرة رجب باي قسنطينة (1666-1674) لمحمد السخري شيخ قبيلة بوعكاز بعد أن عجز عن إخضاعها لحكمه وإجبارها

1- جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10 هـ (16م) إلى 13 هـ (19م))، ط2- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- 2019- ص 211.

2- أوجان فاييسات: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1519-1837م- تر: أحمد سيساوي، هارون حمادو- ط1- الجزائر- كنوز يوغرطا- 2019- ص 162.

3- أسرة بوعكاز الذواودة من الأجواد أو الفرسان، أي من الأسر العسكرية، تمتعت بنفوذ أقوى من الأسر المرابطية، وشرف الأنساب إليها لم يكن يقل عن شرف الأنساب إلى النسب الشريف. جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10 هـ (16م) إلى 13 هـ (19م))، ط2- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- 2019- ص 38.

4- تقلد فرحات بن سعيد مشيخة العرب سنة 1821م وكان آخر من تقلد المشيخة من الذواودة، كان رجل شجاع وكريم النفس، عرف بدهائه وقوته. الشيخ خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين- الجزائر- مطبعة دحلبي- 1985- ج1- ص 61.

5- صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- دت- ص 48.

6- جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني- جامعة منتوري قسنطينة- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث- 2007-2008- ص 118.

على دفع ما عليها من ضرائب للبايلك، وهذه إحدى أنجع الوسائل التي اتبعها الحكام للحد من تمرد وعصيان القبائل لسلطة البايلك، وقد قام محمد السخري بتزويج ابنه القيدوم إلى ابنة الباي "أم هاني" والتي ستكون لها مواقف صارمة اتجاه أفراد قبيلة زوجها وحكام البايلك بعد مقتل والدها، وبعد وفاة زوجها القيدوم قام والدها بتزويجها ثانية إلى أخيه أحمد بن السخري بالرغم من تقدم سنه وهذه إحدى عادات الأعراب¹، فكان خير سند لوالدها رجب باي وأثمرت الرابطة الوثام بين الطرفين كما مكنتهما من التعاون في كل الميادين².

ومن بايات بايلك الشرق أيضا من لجأ إلى سياسة المصاهرة للحد من تمردات بعض الأسر الباي حسن بوكمية (1713- 1736م)، إذ وفي فترة حكمه للبايلك اشتدت ثورة أم هاني ابنة الباي رجب وأصبحت ثورتها مهددة لاستقرار المنطقة فقام الباي بمصاهرتها للحد من معاركها بعد أن ألحقت بقواته عدة هزائم³، وبذلك المصاهرة ضمن الباي حليفا له وللسلطة إضافة إلى عودة الاستقرار والأمن للمنطقة.

لم تقتصر سياسة مصاهرة القبائل والأسر المتنفة على بايات الشرق فحسب بل اتبعها كل حكام البايلكات الثلاثة كوسيلة لكسر شوكة تلك القبائل ومحاولة لتشتيت صفوفها، فالباي محمد المقلش (1805- 1808م) أحد بايات بايلك الغرب الجزائري سعى إلى مصاهرة قبيلة الحشم؛ إذ قام بتزويج ابنه من ابنة زعيم الأجواد قدور بن صحراوي، ولعل هدفه الأول من هذه الجيزة هو كسب موالاتها له وضمان عدم انحيازها لثورة درقاوة إحدى الثورات التي هددت الوجود العثماني ليس في بايلك الغرب فقط بل في الجزائر ككل⁴.

إن سياسة المصاهرة التي اتبعها الحكام سلاح ذو حدين؛ فيمكن القول إن حكمة بعض البايات في مصاهرة أعدائهم ومحاولة التحول في مسار العلاقة بينهم وبين حكام تلك القبائل أسهمت في كسبهم كمواالين للسلطة إضافة إلى شراء الهدوء والسكينة للمنطقة، إلا أنها كانت

1- Ernest Mercier: Histoire de Constantine- (BNF) Gallica- 1930- p. 248.

2- الشيخ محمد خير الدين: المصدر السابق- ج1- ص 49.

3- Peyssonnel et Desfontaines: Voyages dans les Régences des Tunisie et d'Alger- Paris- Librairie de Gid, éditeur des Annales des Voyages- 1838- T1- p. 294, 295.

4- الطيب بن المختار الغريسي المختاري: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم- ط1- الجزائر- مطبعة الخلدونية التلمسانية- دت- ص 335.

سببا في توتر العلاقات بين الطرفين في بعض الأحيان وقيام ثورات نتيجة لرفض البعض لتلك المصاهرات ومثالنا على ذلك ما وقع بين صالح باي قسنطينة (1771- 1792م) وشيخ أحرار الحنانشة إبراهيم بن بوعزيز، ونتيجة لرفض هذا الأخير مصاهرته للباي شن عليه العديد من الهجمات والحروب على القبيلة إلى أن انتهى الأمر بالقبض على الشيخ وسجنه بسجن قسنطينة حتى الموت سنة 1186هـ/ 1773م¹.

يمكننا القول إن تلك الآلية؛ أي آلية المصاهرة التي انتهجتها السلطة العثمانية في الجزائر لم تستفد منها هي فقط بل جميع الأطراف الفاعلة في المجتمع، وقد استطاعت من خلالها حماية مصالحها المشتركة مع جميع القوى، والحفاظ على السلام والهدنة معها.

2- أشهر نساء الجزائر في العهد العثماني: اهتمت العديد من النصوص التاريخية بذكر بعض النسوة ممن سجلن أسماءهن بماء من ذهب في تاريخ الجزائر العثمانية؛ إذ فرضن أنفسهن من خلال بعض المواقف والأزمات والمحن التي مرت بها قبائلهن أو عائلاتهم، ومن أبرز هؤلاء النسوة من ذكرتهن العديد من المصادر سواء كانت الشفوية أو المكتوبة:

1- عزيزة باي: هي عزيزة بنت القايد أحمد بن رمضان أو ما تعرف في المصادر التاريخية "بعزيزة باي" إحدى زوجات فرحات باي (1647- 1653م)، وبعد وفاته تزوجت من أخيه رجب باي (1666- 1674م) وتم الزواج في محل إقامتها بمدينة الجزائر أين بنى لها بيتا عرف بدار "عزيزة باي" بمحاذاة مسجد كتشاوة، وأصبحت هذه الدار فيما بعد مقرا لبايات قسنطينة يقيمون فيه أثناء حمل الدنوش للداي، عاشت عزيزة مع الباي في قسنطينة ثلاث سنوات إلى أن قتلت في مزرعته بالحامة في جمادى الأولى 1079هـ/ 1668م على يد خادمه بن شردال لأسباب مجهولة وقد قيل أنه بتحريض من زوجها².

2- أم هاني: من أبرز نساء الجزائر في الفترة العثمانية وهي ابنة رجب باي قسنطينة (1666- 1674) وزوجة شيخ العرب محمد السخري، عرفت بفروسيته إذ كانت تخوض المعارك ونتيجة ذلك سميت بسيدة الصحراء، كانت متبرجة، جميلة، محاربة إذ كانت لا تدخل حربا ضد الأتراك إلا وخرجت منها منتصرة، وحسب رواية شال فيرو أن أم هاني قامت بتسميم زوجها

1- جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة....- ص 213.

2- صالح بن العنزي: المصدر السابق- ص 48.. وينظر أيضا إلى أوجان فايسات: المصدر السابق- ص 103، 104.

انتقاما لأخيهما بعد مقتله من طرف عائلة زوجها¹، في حين الرحالة بايسونال أشاد بشخصيتها حين التقى بها سنة 1725م وانهر بأنافتها ونظافتها بالرغم من تقدمها في السن، وقد شبهها بإحدى الأميرات الأوربيات ونعتها بالفارسة صاحبة الحنكة العسكرية².

2-3- علجية: ابنة بوعزيز بن نصر شيخ قبيلة الحنانشة فرع نصر ما بين 1704-1739م، تغنى بشجاعتها العديد من المؤرخين والرحالة الأوربيين أمثال شارل فيرو وبايسونال، لقبت في الشعر المحلي بالأميرة وسيدة الرجال، وقد خلد اسمها في الشعر المحلي إذ نجد شارل فيرو وفي تاريخه لقبيلة الحنانشة ترجم قصيدة شعرية تتكون من أربع صفحات إلى اللغة الفرنسية تغنى فيها صاحبها ببطولات علجية وانتصارها على جيش باي قسنطينة وأسر خليفته³ وعددا من الأتراك⁴.

2-4- الداخية: ابنة الباي حسن بوحنك (1736-1754م)⁵ وزوج الباي عبد الله باي قسنطينة (1804-1806م)، وحسب ما ذكره الشريف الزهار في مذكراته كانت تتمتع بالشجاعة وبقدر من الحسن والجمال⁶، وقدرتها وحنكتها السياسية قلما تجدها لدى مثيلاتها، وقد كانت الداخية بمثابة المستشار الخاص للباي، كان ينصاع لكل أوامرها ولا يرفض لها طلبا، فعندما طلب منها أن تلحق به إلى قسنطينة وضعت شرط العودة قتل أعداء أبيها فلبى الباي مطلبها وقام بقتل أولاد بن زكري وأولاد بن الأبيض ومن تبعهم، ولم تكن كلمتها مسموعة عند الباي

1- Charles Féraud : Le Ben-Djellab sultans de Tougourt- Notes Historiques sur la province de Constantine- R. A- 1879- N 23- p 351.

2- Peyssonel: op. cit.- T1- p. 370, 371.

3- عرف محمد الصالح ابن العنترى الخليفة على أنه: "المسؤول عن الأوطان أو أقاليم البايك ويخضع له القواد ورجال الميليشيا المنظمين، وينظم عملية استخلاص الضرائب ويتولى إخضاع السكان لحكومة البايك، ويذهب مرتين في العام إلى الجزائر في الربيع والخريف لحمل الدنوش إلى الباشا وذلك عند عدم ذهاب الباي بنفسه". صالح ابن العنترى: المصدر السابق- ص 20.

4- Charles Féraud: Les Harar seigneurs des Hanencha- Etude Historique sur la province de Constantine- R.A- 1874- N 18- p. 214, 217.

5- اختلفت المصادر في أصل الداخية زوجة الباي عبد الله فحسب ما أورده صاحب مؤلف أخبار بلد قسنطينة وحكامها فإن الداخية زوجة الباي عبد الله هي إحدى بنات بن قانة، في حين يذكر أوجان فايسات أنها ابنة الباي حسن.

6- أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1246 هـ / 1754-1830م)- ط 2- الجزائر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- 1980- ص 87.

فقط بل لدى كل رجال المخزن فقد كانوا يستشيرونها في أهم القضايا¹، وبعد مقتل زوجها قام الداي بتعذيبها بغية استنطاقها لمعرفة مكان أمواله إلا أنها لم تستطع المقاومة وتوفيت².
5-2 لالة عيشوش: هي إحدى بنات بن قانة أخذت لقب الخليفة بعد توليها حكم إمارة بني جلاب سنة 1833 م، تمتعت لالة عيشوش بالحوية الكبيرة واتصفت بالقوة والحزم والشدة والمهارة، إذ كانت تركب الأحصنة وترتدي حزاما وكان مسدسها لا يفارقها، تميزت بجمالها خاصة في صغرها وبوزنها الثقيل وتدخينها للتكروري.

تولت لالة عيشوش الحكم نيابة عن ابنها عبد الرحمان الملقب "ببوليفة" والذي كان يبلغ سنه آنذاك وحسب ما ذكره شارل فيرو ثمان سنوات، ونظرا لصغر سنه تولت هي حكم السلطنة بعد وفاة الشيخ علي سلطان بني جلاب (1831-1833 م)، وتميزت سياستها بالحنكة والصرامة والشدة فقد كانت تقوم بقتل كل من يقف في طريقها إما حرقه أو قتله بالسم، عقدت لالة عيشوش تحالفا مع فرحات بن سعيد بعد عزله من منصب شيخ العرب بعد تولي أحمد باي الحكم في بايلك الشرق³.

إن تولي منصب حاكم لقبيلة ما يتطلب الحنكة السياسية والقوة والدهاء ولعل كل تلك الصفات تحلت بها لالة عيشوش سلطانة بني جلاب، وقد يكون سبب خبرتها العسكرية والسياسية قربها من صانع القرار في السلطنة زوجها الشيخ عمر سلطان بني جلاب، فهذا القرب جعلها أشد قوة وجسارة سعت من خلالها إلى النهوض بقبيلتها وتحقيق الأمن والرخاء لها.

6-2 بدره: هي ابنة الباي بوكابوس (1808-1813 م) وزوجة آخر بايات وهران حسن بن موسى الذي تولى حكم البايك سنة 1816 م، عرفت بقوة شخصيتها وقد حققت من خلالها استقلالية عن زوجها، اشتهرت بدره بجسارتها وحنكتها السياسية والعسكرية ودهائها، إذ كانت تسير حاملة على خصرها مسدسين، وما دل ذلك إلا على قوتها البدنية والعسكرية.

1- رياض بولبحال: أخبار بلد قسنطينة وحكامها مؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا- جامعة منتوري قسنطينة- 2009-2010- ص 69-70.

2- أوجان فايسات: المصدر السابق- ص 211.

3- Ch Féraud: Le Ben-Djellab...- Op. Cit.- 1880- N 24- p. 301, 305.

كانت بذرة محبة لفعل الخير ومساعدة المحتاجين، فالأموال التي كانت تحصل عليها من طرف القياد تستخدمها في مساعدة ذوي الاحتياجات، وتقديم الهدايا إلى نساء الداي حسين، فحين سمعت بأن ابنته موني أنجبت طفلا من زوجها وكيل الحرج قدمت لها مهدا من ذهب مرصع بالأحجار الكريمة من فاس منقوش عليه ثمنه¹.

3- أشهر ثورات نساء حكام الجزائر في النصوص التاريخية: رغم الوفاق الذي كان يربط العثمانيين ببعض القبائل المنتفذة في البايلاكات إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث بعض الثورات والانتفاضات ضد السلطة العثمانية، فتركيزنا في هذه الدراسة لن يكون على ثورات القبائل التي قادها حكامها من الرجال بل من قادها نسوتها، خاصة نساء البوادي اللواتي اختلفن عن نساء الحضر؛ إذ تمتعن بالقوة والجرأة والبسالة، وساهمن في العديد من الثورات إلى جانب رجالهن سواء بحمل الحجارة إلى أزواجهن أو حمل السلاح والمحاربة معهم²، وقد أشاد المؤرخ محمد الساسي العوامر بهؤلاء النسوة في قوله: "... إن نساء البادية أكثر من الرجال عددا وألين جانبا وأرق طبعاً ولسن مع ذلك دون الرجال نخوة وشهامة... يشاطرن الرجال في كل أنواع الأعمال فيقمن بإدارة بيوتهن ويساعدن الرجال حتى في غزواتهم..."³.

قادت بعض النسوة البارزات في تاريخ الجزائر الحديث العديد من الثورات سواء ضد السلطة العثمانية أو ضد حكام القبائل الأخرى، ولعل أبرز تلك الثورات ثورة علجية بنت بوعزيز إحدى بنات قبيلة الحنانشة ببايلك الشرق، وثورة أم مهاني ابنة رجب باي.

3-1 ثورة علجية بنت بوعزيز: تعد ثورة علجية من الثورات المحلية التي كتب عنها العديد من المؤرخين سواء المحليين أو الأوروبيين والتي قادتها إحدى بنات قبيلة الحنانشة سنة 1724م/ 1136هـ ضد السلطة العثمانية، وقد اعتبرها هؤلاء المؤرخون امتدادا لثورة بن السخري⁴.

1- كمال بن صحراوي: أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني- رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث- جامعة وهران- 2012-2013- ص 169.

2- فندلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837- تر: أبو العيد دودو- الجزائر- وزارة الثقافة- 2007- ص 98.

3- محمد الساسي العوامر: الصروف في أخبار واد سوف- الجزائر- منشورات ثالة- 2007- ص 257، 258.

4- جميلة معاشي: الأسر المحلية...- ص 347.

كان مقتل بوعزيز والد علجية سببا مباشرا في انتفاضتها ضد العثمانيين ومحاولة لانتقامها من الباي وجنده؛ إذ قام باي قسنطينة حسين بوكمية (1713- 1736 م) بالتعاون مع باي تونس الحسين بن علي (1705- 1736 م) للقبض على بوعزيز شيخ الحنانشة فرع نصر بعد سجن ابنه إبراهيم، إذ وفي محاولة من الشيخ لتحرير ابنه من قبضة الباي ومعاونيه استطاع هذا الأخير الغدر به والقبض عليه وسجنه ثم قتله، هذه الحادثة أثارت غضب أفراد قبيلة الحنانشة فقاموا بالثورة ضد قوات السلطة العثمانية، إلا أنهم هزموا ولم يفلحوا في النصر ودب في أوساطهم الضعف والوهن¹.

للشيخ بوعزيز بن نصر ابنة فارسة تعرف بالعلجية عرفت بقوتها ومهارتها الحربية، وقد يعود سبب إتقانها للفنون الحربية ترعرعها في كنف أكبر قبيلة من قبائل بايلك الشرق التي اشتهرت بحروبها المستمرة سواء ضد السلطة العثمانية أو القوات التونسية، أو حتى ضد القبائل المجاورة لها كقبيلة النمامشة، ففوة أي قبيلة تكمن في فروسية أبنائها التي تعد إحدى الخصائص لاعتلاء زعامة المشيخة².

يذكر الرحالة الفرنسي بايسونال الذي زار الجزائر سنة 1724 م أن العلجية بنت بوعزيز شيخ الحنانشة بعد تراجع جيش والدها لبست أجمل ثيابها وجمعت نسوة قومها ودعتن لركوب الخيل والسير معها للأخذ بثأر والدها بعد أن خطبت فيمن خطابا قائلة: " مادام الرجال ليس لهم الشجاعة على الوقوف في وجه الأتراك الذين سيأتون قريبا لانتهاك حرمانتنا تحت أنظارهم، فلنذهب نحن بأنفسنا ونبيع أرواحنا وشرفنا غاليا أفضل من أن نبقي إلى جانب هؤلاء الجبناء"³.

1- الحاج أحمد بن المبارك العطار (1790-1870): تاريخ قسنطينة- تج: عبد الله حمادي- قسنطينة- دار فائز للطباعة- 2011- ص 133.

2- للمزيد عن العلاقات بين القبائل المحلية من جهة وبينها وبين السلطة في العهد العثماني من جهة أخرى ينظر: جميلة معاشي: الأسر المحلية...- وأيضا: عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن 18 م/ 12 هـ- الجزائر- دار الأمل- 2017 م.

3- Peyssonel: Op. Cit.- T1- p. 295..

قادت علجية المعركة التي عرفت في التاريخ بمعركة فحج مروا على رأس جيش قبيلتها ضد الجيوش العثمانية بعد أن التحق بها جيش والدها المنهزم، واستطاع أن يلحق بالأتراك هزيمة شنعاء وأن يلقوا القبض على خليفة الباي وعددا من الأتراك واستعادة جزء مما سلبوه¹. خلد الشعر المحلي ثورة علجية التي سماها بابيسونال بجاندراك الجزائر في قصيدة شعبية قام بترجمتها شارل فيرو إلى اللغة الفرنسية نشرت في المجلة الإفريقية لسنة 1874م، وقد ارتأيت ذكر أهم الأبيات التي تغنت بعلجية وبطولاتها:

طاحوا اليوم سادات في الحروب أبدان أهل العلوم يقرأو من الحمد للبقرة
يندهوا إلى أشياخ القومان بنت بوعزيز سيدة الرجـال
راكبا على زرقا تنطمي فرخ الجان تسبق لغزالة تشطفه تزيد في لغواط².

وعن موقفها اتجاه البايات يضيف المؤرخ الجزائري عبد القادر الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام في جزئه الرابع الذي أرخ فيه لثورة علجية قائلا: "اهتزت لهذا الحادث المريع فامتطت صهوة جوادها وتقدمت بنفسها لحشد الجيوش ضد الخصم المتسلط وصرخت في قومها بالنفير العام لحماية الشرق والدفاع عن العفاف..."³.

والشيء نفسه ذهب إليه المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله الذي نوه بقوة وحنكة علجية بنت بوعزيز في قيادتها لجموع الحنانشة والعرب ضد الأتراك عندما دب الفشل في صفوف رجال قومها⁴.

أشادت المصادر بثورة علجية وبعض نسوة القبائل الأخرى ما هو إلا دليل على النزعة والقوة الحربية لنساء البوادي؛ إذ كن الدرع الواقي لأزواجهن ورجال قبائلهن بشكل عام، وتمسكن بالنخوة والشهامة زاد من ثقة أربابهن في قدرتهن على الوقوف إلى جانبهم في أوقات الحروب والثورات هذا ما يجعلنا نفسر سبب مساهمة المرأة الريفية في العديد من الحروب سواء ضد الأتراك أو ضد القبائل الأخرى.

1- يعي بوعزيز: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية- الجزائر- دار الهدى- 2001- ص 25.

2- Ch Féraud: Les Harar seigneurs des Hanencha...- p. 214, 217.

3- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام- ط7- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- 1994- ج3- ص 221.

4- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)- الجزائر- عالم المعرفة- 2011- ج1- ص 217.

2-3 ثورة أم هاني ابنة رجب باي: كانت أم هاني ابنة رجب باي قسنطينة أرملة لشيخا العرب محمد ابن السخري وشقيقه أحمد؛ إذ وبحكم الأعراف وللإبقاء على أبنائها في كنف أسرة والدهم وللحفاظ أيضا على العلاقات سواء بين الأسرتين أو بين قبيلة بوعكاز والسلطة العثمانية قام والدها الباي رجب بتزويجها إلى أخيه أحمد ابن السخري¹.

قادت أم هاني العديد من الانتفاضات والثورات في بايلك الشرق سواء ضد قوات البايك أو ضد زعماء القبائل الأخرى، إذ وبعد مقتل والدها الباي رجب على يد رجال السلطة العثمانية أعلنت الحرب على الأتراك انتقاما له، فدارت بينها وبين قوات الباي حسين بوكمية (1713-1736م) العديد من الحروب والمعارك الطاحنة والطويلة التي قادتها بنفسها وكان النصر فيها حليفا لها ولجيشها²، فحنكة أم هاني العسكرية أهلتها لأن تكون قائدة ميدان، ولعل أحد أسباب تمتعها بالقوة والشجاعة هو ترعرعها في بيت والدها أحد قواد بايلك الشرق، إضافة إلى قربها من صناع القرار في القبيلة وهما زوجها شيخا العرب هذا ما مكّنها من القدرة على التخطيط والتنفيذ لكل تلك المعارك التي قادتها ضد السلطة بقسنطينة.

بعد أن أتعبت ثورات ومعارك الثائرة أم هاني الجيش العثماني اهتدى الباي بوكمية للحد من أذاها إلى تطبيق سياسة المصاهرة معها؛ وقام بمصاهرة والزواج من ابنتها وبهذا استطاع الباي تطويق ثورة أم هاني والقضاء عليها³، ويذكر الرحالة بايسونال أن أم هاني وبالرغم من الحروب العديدة التي قادتها إلا أن هذا لم يؤثر على جمالها وقوتها رغم ملامح الكبر التي ظهرت عليها، وشبهها بإحدى الأميرات الأوروبيات⁴.

لم تقد الثائرة أم هاني حروبا ضد قوات البايك فحسب بل قادت عدة معارك أخرى ضد أبناء قبيلة زوجها؛ إذ وبعد القضاء على والدها سنة 1674م ومصادرة أمواله من طرف السلطة العثمانية وبأمر من داي الجزائر "حاجي محمد" فرت زوجته وأخوها إلى الصحراء للاحتماء بأم هاني، إلا أن ضيافتهم لم تدم طويلا وانتهت بقتل أخيها في رحلة صيد بمكان يدعى

1- الشيخ محمد خير الدين: المرجع السابق- ص 50.

2- Peyssonnel: Op. Cit.- T1- p. 294, 295.

3- أوجان فايسات: المصدر السابق- ص 149.

4- Peyssonnel: Op. Cit.- T1- p 370, 371.

فيض العزاب" قرب قرية سيدي عقبة، فاتهمت أم هاني عائلته زوجها بما حدث وأعلنت الحرب عليهم، وكان أول ضحية من ضحايا انتقام أم هاني زوجها أحمد ابن السخري؛ إذ وحسب ما رواه شارل فيرو أنها قامت بتسميمه وقتل جميع أبنائه انتقاماً منه ومن قبيلته، ولم ينج إلا فرحات بن رجاجة بن سليمان بن حداد خليفة أحمد ابن السخري الذي فر مع والدته إلى سيدي خالد واستقر بها¹.

بعد أن اشتد ساعد فرحات بن أحمد السخري قام بعدة معارك ضد زوجة والده أم هاني والتي كان ضحيتها أبناءها الأربعة، وانتهت الحرب بانسحاب هذه الأخيرة إلى العيلة².

لم تكتف أم هاني بالانتقام من أسرة زوجها فحسب بل تعدت إلى العائلات والقبائل الحليفة لها كسلطنة بني جلاب التي كان حاكمها سليمان أمير تقرت عاصمة وادي ريف أحد أقارب أسرة الذواودة؛ إذ وحسب ما ذكرته النصوص التاريخية حول ثورات أم هاني فسلطان تقرت قام بطلب مصاهرتها وذلك للحد من ثوراتها وهجماتها المتكررة على المنطقة، فتظاهرت بالقبول إلى أن قدم لها وقامت بحجزه وضربه ثم قتله انتقاماً لأخيها وإرسال جثته إلى تقرت³.

بعد مقتل سليمان أمير تقرت قام ابنه محمد بمحاولة الثأر لأبيه ودارت بينه وبين أم هاني وحيشها عدة حروب خاسرة أهمها معركة "مقارين" بالقرب من منطقة مقارين شمال تقرت أين قتل بها، ونصبت بعدها أم هاني نفسها حاكمة على الصحراء وقامت بإخضاع عدة قبائل منها الرحامنة والسلمية، وعينت على تقرت محمد الأكلح أحد أبناء عمومة بني جلاب سنة 1723 م⁴.

وما يمكن قوله إن أم هاني رغم قوتها وانتصاراتها العديدة سواء على قوات البايك أو الأسر الأخرى إلا أن السلطة العثمانية استطاعت أن تحد من ثوراتها بإتباعها لسياسة المصاهرة التي كانت أنجع طريقة للقضاء على ثورتها وشراء السلم في البايك وكسبها أيضاً كحليف.

1- Ch Féraud: Les Ben-Djellab... - Op. Cit.- N 23- p. 351.

2- جميلة معاشي: الأسر المحلية... ص 207.

3- CH Féraud: Les Ben-Djellab... - Op. Cit.- N 23- p. 352.

4- CH Féraud: Les Ben-Djellab... - Op. Cit.- N 23- p. 352, 356.

4- تأثير نساء الحكام على الحياة السياسية في الجزائر: إنه وبالرغم من إنكار بعض النصوص التاريخية لدور المرأة في الحياة السياسية في الجزائر خلال العهد العثماني إلا أن مكانتها لدى صناع القرار أثرت على توجيه مختلف القرارات السياسية في الدولة والتأثير على مواقف بعض الحكام كل في موقعه، وتقلدها لبعض المناصب الهامة كمنصب شيخ القبيلة أثر على الوضع السياسي في المنطقة وعلى العلاقات سواء بين القبائل فيما بينها أو بينها وبين السلطة العثمانية في الجزائر، كما حدث مع أم هاني زوجة شيخ العرب أحمد بن السخري حين تقلدت مشيخة القبيلة وأثرت على التوجه السياسي لها والتشويش على علاقاتها مع مختلف الفئات الفاعلة في المنطقة.

خطت أم هاني مع رجب باي قسنطينة بحكم أبوتها لها وقربها منه لفصل عمالة قسنطينة على السلطة المركزية، وطلبت من والدها قطع الدنوش وطلب الباشوية من الباب العالي مما كان سببا في تنحية الباي عن مكانه وقتله ومصادرة أمواله¹.

كما هو الحال بالنسبة إلى علجية بنت بوعزيز بن نصر؛ فقد كان لها الدور الفعال في المسار السياسي للقبيلة ككل خاصة أثناء محاولة الإطاحة بوالدها أين شهدت لها جموع العرب بالقوة والجسارة، وقد تعود القوة والجرأة اللتان تحلت بهما علجية إلى أمها التي كان لها هي أيضا دورا في التأثير على العلاقة بين قبيلة الحنانشة وبين باي تونس الحسين ابن علي حين لعبت دور المبعوث بين زوجها بوعزيز وأسيره محمد بن الحسن بن علي في محاولة لإطلاق سراح ابنها إبراهيم الذي كان رهينة لدى باي قسنطينة، وقد طلبت منه التدخل لدى والده ليطلب بدوره من باي قسنطينة إطلاق سراح ابنها².

إن قرب بعض النسوة من صناع القرار في السلطة ساعدهن على تكوين علاقات جيدة مع أصحاب النفوذ والوظائف السامية؛ فالدايخة زوجة عبد الله باي قسنطينة (1804-1806م) شاركت زوجها في اتخاذ القرارات³، وساهمت في أعماله الإدارية أكثر من مرة إذ كانت

1- جميلة معاشي: الأسر المحلية... ص 207. وأيضا: الشيخ خير الدين، المرجع السابق- ص 50.

2- الحاج حمودة بن عبد العزيز: الكتاب الباشي- تج: الشيخ محمد ماضود- تونس- الدار التونسية للنشر- 1970- ج 1- ص 280.

3- صالح ابن العنثري: المصدر السابق- ص 73.

ويمكننا القول إن المرأة بحكم علاقاتها داخل مراكز السلطة استطاعت أن تؤثر في صدور القرارات سواء بشكل مباشر أو بطرق قد نراها ملتوية لكنها كانت أنجع وسيلة لتوجيه القرارات نحو أهدافها التي كانت تصبو إليها.

الخاتمة: لعبت المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني دورا هاما في جميع الجوانب خاصة السياسية، وقد يعود ذلك إلى قوة شخصية البعض منهن، إضافة إلى النفوذ الاجتماعي والمالي والسياسي لعائلاتهن، فالعديد من هؤلاء النسوة كن إما من أسر البايات أو من شيوخ القبائل اللذين كانت لهم سلطة على جموع المناطق المحيطة بهم، هذا ما ساعد البعض منهن على الوصول للسلطة وتولي المناصب الهامة.

إن قوة بعض النسوة ارتكزت على علاقاتهن المختلفة إما داخل محيطهن أو خارجه، وهذا ما مكنهن من فرض أنفسهن في المجال السياسي بالرغم من الخطر الذي يحيط بهن خاصة من طرف عروشهن الرافضين لفكرة سلطة المرأة، ورغم ذلك استطاعت أن تحرك الحياة السياسية بتدخلها في مختلف القرارات الهامة التي انعكست وفي أغلب الأحيان بالسلب على الحياة السياسية في مجالهن الجغرافي وأيضا على صناعات القرار والمحيطين بهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ-المصادر:

- ابن العنترى صالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها - تح: يحي بوعزيز - طبعة خاصة - الجزائر - عالم المعرفة - 2009م.
- الزهار محمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1246/1754-1830م) - ط2 - الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - 1980.
- شلوصر فندلين: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 - تر: أبو العيد دودو - الجزائر - وزارة الثقافة - 2007م.
- بن عبد العزيز الحاج حمودة: الكتاب الباشي - تح: الشيخ محمد ماضود - تونس - الدار التونسية للنشر - 1940.
- العطار الحاج أحمد بن المبارك (1790-1870): تاريخ قسنطينة - تح: عبد الله حمادي - قسنطينة - دار قائد للطباعة - 2011م.
- فايسات أوجان: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1519-1837م - تر: أحمد سيساوي، هارون حمادو - ط1 - الجزائر - كنوز يوغرطا - 2019م.
- المختاري الطيب بن المختار الغريسي: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم - ط1 - الجزائر - مطبعة الخلدونية التلمسانية - دت.

ب-المراجع:

- بوعزيز يحي: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية - الجزائر - دار الهدى - 2001م.
- الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام - ط7 - الجزائر - ديوان المطبوعات الجامعية - 1994م - ج3.
- ابن خروف عمار: العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن 18م / 12هـ - الجزائر - دار الأمل - 2017.
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) - الجزائر - عالم المعرفة - 2011م - ج1.
- الشيخ محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين - الجزائر - مطبعة دحلب - 1985م - ج1.
- العوامر محمد الساسي: الصروف في أخبار واد سوف - الجزائر - منشورات ثالة - 2007م.
- فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850 - الجزائر - ديوان المطبوعات الجامعية - دت.
- معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م) - ط2 - الجزائر - ديوان المطبوعات الجامعية - 2019.

ج-الدوريات:

- فليسيان سلوسي: ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، تر: علي تابلت، مجلة حوليات الجزائر، 1993م، ع 7.

د-الأطروحات:

- بودريالة نورالدين - العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792 - 1830م "مقاربة اجتماعية وسياسية" - جامعة مصطفى اسطيمبولي "معسكر" - أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث - 2018-2019م.
- بولجبال رياض - أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق) - جامعة منتوري قسنطينة - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا - 2009-2010م.
- بن صحراوي كمال - أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني - جامعة وهران - رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث - 2012-2013م.
- معاشي جميلة - الإنكشارية والمجتمع ببائلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني - جامعة منتوري قسنطينة - رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث - 2007-2008م.
- 2- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

أ - المصادر الأجنبية:

- Peyssonnel et Desfontaine - Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger - Paris (Librairie de Gid - éditeur des Annales des Voyages - 1838) - T1.

ب-المراجع الأجنبية:

- Ernest Mercier - Histoire de Constantine - (BNF) Gallica - 1930.

ج-الدوريات الأجنبية:

- Charles Féraud: Les Harar seigneurs des Hanencha - Etude Historique sur la province de Constantine- R.A- N° 18- 1874.
- Charles Féraud: Le Ben-Djellab sultan de Tougourt - Notes Historiques sur la province de Constantine, R.A- N° 23- 24- 1879- 1880.